

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا
النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

تأملات في غزوة بدر وقوانين النصر الثابتة في سورة الأنفال

(012) سورة يوسف

2023-09-09

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. سورتنا اليوم والتي نلتقي معها وفي ظلها إما هي سورة الأنفال، تناولنا الحديث عنها في حلقتنا السابقة، تكمل اليوم بقية المحاور بعون الله وتوفيقه، فالسورة -كما يعلم الجميع- نزلت لتتحدث عن يوم عظيم بحاجة إلى أن ينزل فيه سورة؛ إنه يوم بدر يوم الفرقان -كما سماه الله تعالى-، فتعالوا بنا إخواني المستمعين لنعيش أنوار وألطف هذه الآيات الكريمة وبيان وشرح وتفصيل لبعض الآيات وذلك من خلال هذا اللقاء الذي جمعنا بفضيلة الدكتور الداعية (بلال نور الدين) أستاذ الفقه المقارن، أستاذ الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة، عضو رابطة علماء الشام والمؤلف والمؤلف والمسؤول عن موقع الدكتور محمد راتب النابلسي، حياك الله دكتور وأهلاً ومرحباً بك.

الدكتور بلال نور الدين:

أهلاً ومرحباً، بارك الله بكم ونفع بكم، جزاكم الله خيراً على هذه الاستضافة الطيبة.

المقدمة:

وإياكم يا دكتور، تحدثنا في الحلقة السابقة عن بداية الآيات والتي وردت في سورة الأنفال، اليوم سنتحدث عن باقي الآيات الكريمة والتي نتحدث -كما أسلفت- عن يوم عظيم، وهي بحاجة إلى أن ينزل فيها سورة تتحدث عن يوم بدر، فمن الطبيعي يا دكتور أن تبدأ السورة بوضع قوانين للنصر، المسلمين عدد قليل، عدة قليلة؛ أي بالعقل البشري والمادي المعركة خاسرة، لكن السورة تتحدث عن هدف واحد، يا مسلمين، النصر لا يأتي صدفة ولا يأتي فجأة، النصر له قوانين ثابتة، نرجو التوضيح يا دكتور، جزاكم الله كل خير.

قوانين النصر:

الدكتور بلال نور الدين:

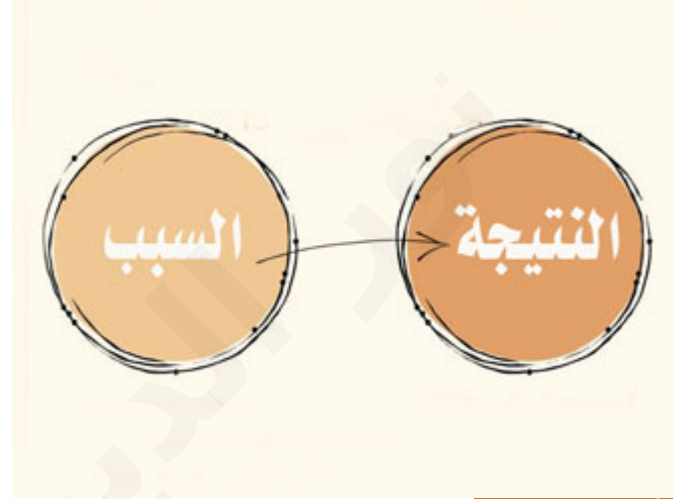
بارك الله بكم، كما تفضلتم الله تعالى لا يتعامل مع عباده بالأمانى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلٍ لِكَيْتَبَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا يَصِيرَ (123)

(سورة النساء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سُنَّةَ اللَّهِ لَئِي قَدْ حَلَكْتَ مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (23)

(سورة الفتح)



الأسباب تؤدي إلى النتائج

وهذه السنن مصطلحها الحديث كما تفصلتم هو (القوانين)؛ بمعنى أن الأسباب تؤدي إلى النتائج، فمن يقدم الأسباب يأخذ النتائج، ومن يقصر في الأسباب تقصر عنه النتائج، فلا بد لكل شيء من قانون؛ سبب ونتيجة، فهذه السورة الكريمة -كما تفصلتم- تحدثت عن قوانين النصر، ولو أردنا أن نجمل قوانين النصر فيمكن أن نضع كل القوانين في خانتين كبيرتين:

1- خانة متعلقة بالأسباب المادية.

2- وخانة متعلقة بالأسباب المعنوية الإيمانية.

فهما بشرطان لا ثالث لهما كل منهما لازم؛ أي لا يد منه، غير كاف؛ أي لا بد أن يكون معه الشرط الثاني، الإيمان شرط، والإعداد شرط، فإذا قدم الإنسان إيماناً ولم يقدم إعداداً فقد قصر، وإذا قدم إعداداً ولم يقدم إيماناً فقد قصر، فلا بد من أن يجتمع الإيمان مع الإعداد، أما الإيمان فقد ذكرته السورة في آيتين اثنتين الأولى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ ۖ فُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا لِنُنْصِرَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10)

أي لا بد أن توفن أن النصر من عند الله تعالى وحده، هذا قصر وحصر (ما مع إلا) (وَمَا لِنُنْصِرَ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) فلا يمكن أن يتحقق نصر في الأرض إلا إذا سمح الله تعالى به وأذن به، والآية الثانية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذْ يَقُولُ لِمُنْفِيُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ عَرَّ هَؤُلَاءِ دِيهَتَهُمْ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (49)

هاتان الآيتان في السورة، فالإيمان هنا المقصود به الإيمان بأن النصر من عند الله، وحسن التوكل على الله في تحقيق النصر، فلا يعتمد على الأسباب التي يقدمها وإنما يعتمد على مسبب الأسباب، وأما الإعداد فقد ورد أيضاً في هذه السورة، وعلى رأس هذه الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ لِحَبْلِ تُرْهُبُونَ بِهٖ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَإِخْرَبِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)



من ضمن الإعداد الجيد الطاعة

(مَا اسْتَطَعْتُمْ) إعداد القوة المتاحة وليس القوة المكافئة، فقد لا يستطيع المسلم أن يُعَدَّ القوة المكافئة لعدوه، ولكن ينبغي أن يستنفذ الجهد في إعداد ما يستطيعه، (مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي كل ما تستطيعون، وأما قوله: (مِنْ قُوَّةٍ) فهذه نكرة وقبلها (من) تعني أن نستنفذ جميع أنواع القوة وليست قوة واحدة، فالتعليم قوة، والإعلام قوة، وأنواع الأسلحة قوة، والزراعة قوة، والصناعة قوة، والتجارة والمال قوة وهكذا (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) ومن ضمن الإعداد الجيد الطاعة، فجاء في السورة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا فِتْنَتَهُمْ فَتَمْسَلُوا بِذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ (46)

إذا نحن أمام منظومة متكاملة للنصر يحكمها أمران اثنان أساسيان:

1- إيمان بالله مع صدق التوكل عليه بأن النصر من عنده.

2- ثم إعداد للأسباب الممكنة والقوة الممكنة.

وهذا درس ليس في المعركة فحسب، درس ينبغي أن نلاحظه في كل شيء في حياتنا، فلو كان عندي امتحان غداً أو كان عند ابني امتحان غداً، فإنني ينبغي أن أدربه على شيئين اثنين: توكل على الله لأن الله هو الذي سينجحك في الامتحان، وقم وادرس، فأياك أن تكون دراستك حجاباً بينك وبين أنك لن تستطيع أن تحقق النجاح إلا بتوفيق الله، وإياك أن تزعم أنك متوكل على الله- وهذا اتكال وليس توكلًا- أن تترك الدراسة، فلا بد أن تجمع الأمرين معاً، وفي المعركة لا بد من الإيمان، ولا بد من الإعداد.

المقدمة:

جميل جداً يا دكتور، والمتتبع للقرآن الكريم يا دكتور بتدبير وإمعان نجد أن قراءة القرآن هي رسائل متكاملة لجعل الإنسان صالحاً تعمُّ الكون على منهج الله، فالسور التي سبقت سورة الأنفال- وهي من السبعة الطوال- جاءت لتؤكد أن هنالك منهج خلافة، الأنفال جاءت لتؤكد أنك حتى تصل إلى اكتمال المنهج يجب أن تأخذ بالقوانين الموجهة للمسلمين ليوم القيامة، هذه القوانين هي ما ذكرت وأجملت وأبدعت فيها يا دكتور بارك الله فيكم.

الدكتور بلال نور الدين:

صحيح، حياكم الله.

المقدمة:

نعود دكتور لجواب السؤال في بداية سورة الأنفال والذي تحدثنا عنه في الحلقة السابقة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ قُلْ تَقْوَاهُ لِلَّهِ وَأَطِيعُوا لِلَّهِ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)

وقد وضحت لنا -جزاكم الله كل خير- لماذا تأخر الجواب أربعين آية؟ الأصل هو ترسيخ قوانين النصر والتي احتوت عليها الآيات، ثم يأتي الحديث عن الدنيا وعن الغنائم، نود التوجيه والتوضيح، بارك الله فيكم.

سبب تأخر الإجابة لسؤال (يسألونك) في سورة الأنفال:

الدكتور بلال نور الدين:

حياكم الله كما تفضلتم الآية الأولى في السورة: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) وبعد خمس صفحات، وهو منتصف السورة تقريباً، وفي الآية الواحدة والأربعين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعَلَّمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَاللَّرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَبَيْنَ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ
بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ تَلَقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (41)



لا بد أن نخرج حب الدنيا من صدورنا

إلى آخر الحياة الكريمة، هذا التأخر لفت أنظار المفسرين والمتابعين في تأخر الإجابة التفصيلية عن السؤال، وكما تفضلتم جاء ذلك لبيان أهداف الجهاد العليا، أهداف القتال في سبيل الله؛ قوانين النصر، الهدف الذي دخلنا المعركة من أجله، لماذا نحن هنا؟ لماذا جئنا إلى هنا؟ لم نأت طلباً للدنيا ولا طلباً للغنائم ولا طلباً للأنفال ولا طلباً لعرص من الدنيا قليل، فلا بد أن نخرج حب الدنيا من صدورنا أن نملكها لا إن تملكنا، أن نتحكم بها لا أن نتحكم بنا، أن نجعلها في أيدينا لا في قلوبنا، أن نقودها لا أن نقاد لها، فكل هذه المعاني مجتمعة لذلك تأخر هذا الجواب حتى يضمن المولى -جل جلاله- أن حب الدنيا قد خرج من الصدور، وأن الأهداف العليا قد توضحت وأصبحت ثابتة، لو أن أبا أرسل ابنه إلى بلد بعيد ليحصل وينال شهادة عليا في مجال معين، فإن هذا الابن جاء لهدف، فلا بد أن يستقيم هذا الهدف في ذهنه حتى يستطيع أن يؤدي سلوكاً يتناسب مع هدفه، أما لو أن هذا الابن في اليوم الأول لوصوله إلى ذلك البلد اتصل بوالده وقال له: أين أجد أماكن اللعب؟ أين أجد أماكن السهر؟ أين أجد الأماكن الجميلة في ذلك البلد؟ فإن الأب يقول له: انتظر قليلاً، أنا ما أرسلتك إلى هذا البلد من أجل أن تسهر وتلعب وتلهو، أنا أرسلتك من أجل أن تحقق هدفك الأعلى؛ وهو نيل شهادة عليا في اختصاص نادر، فسلني عما يصلحك، سلني عما يحقق أهدافك، ثم بعد ذلك لن أمنعك من قضاء ساعة في لهو مباح، لكن إياك أن تجعل الوسائل أهدافاً، إياك أن تجعل الوسائل غايات فتتسى لماذا أنت هنا فلا يتحقق هدفك الذي جئت من أجله، من هنا فإن الله تعالى بين أننا دخلنا المعركة من أجل تحقيق العزة لله دين الله تعالى، ومن أجل نيل المراتب العالمة في الدنيا والآخرة، وتحقيق النصر ونشر دين الله تعالى في الخافقين، فالجهاد له أهداف عليا، من أهدافه رد العدوان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقِيلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَئِن يُقَاتَلْ كُنَّا لَنُفَعِّلُوكُمْ وَلَا نَعْتَدُوا وَإِنَّ لِلَّهِ لَا يُجِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190)

(سورة البقرة)

ومن أهدافه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقِيلُوا هُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَتَكُونَ لِلدِّينِ كُلِّهِ قَائِلِينَ فَإِنَّ لِلَّهِ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا (39)

(سورة الأنفال)

فنحن جئنا لندافع عن أنفسنا، وجئنا لننشر الخير، ولكيلا يستعبد الإنسان أخاه الإنسان، وإنما لنجعل العبودية خالصة لوجه الله تعالى؛ هذان هدفنا الجهادي، أهداف الجهاد العليا في الإسلام، فلا ينبغي أن نشتغل عنها بلعامة من الدنيا وغنائم وأموال وغير ذلك، فرُبِّي القرآن الكريم الصحب الكريم وربانا من بعدهم على أن ننظر دائماً إلى الأهداف العليا، وألا تشغلنا الدنيا وألا تشغلنا الوسائل عن الغايات.

المقدمة:

بارك الله فيكم، دكتور ونحن ما زلنا نتحدث عن الغنائم والأموال، حب المال فطرت عليه النفوس، يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَجِبُونَ لِلْمَالِ حُبًّا جَمًّا (20)

(سورة الفجر)

ويقول أيضاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8)

(سورة العاديات)

فجاء في التفسير هنا أن المقصود بالخير هنا هو المال، لذلك ولعلم الله بما جُبلت عليه النفوس البشرية من حب للمال، كان المال الذي يأتي للمسلمين على ثلاثة طرق، أو طرائق، كل هذه الثلاث تولى الله بنفسه تقسيمها ولم يكلها إلى أحد، ولا حتى إلى نبيه -صلوات ربي وسلامه عليه-، نود التعرف على هذه المصادر.

تولي الله تعالى تقسيم المال على المسلمين: الدكتور بلال نور الدين:

بارك الله بكم، نعم كما تفضلتم، هي مصادر المال كثيرة في الإسلام، لكن ربما تجتمع كلها تحت ثلاثة عناوين رئيسية:

1-الميراث؛ يأتي المال عن طريق الميراث، يرث الإنسان مالا من أبيه، من عمه، من جده إلى آخره من قواعد الميراث.

2-أو يكون غنيمة يغنمه في الحرب، هذه الأنفال التي نتحدث عنها.

3-أو يكون صدقة يتصدق بها، أو يتصدق بها عليه، وهذه المصادر الثلاثة -كما تفضلتم- لها آيات واضحة في كتاب الله لا تدع مجالاً للشك أو للاجتهاد أو للتفسير أو التأويل البعيد عن مضامينها، فاما الميراث فقال تعالى في آيات واضحة في سورة النساء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا لِلشُّدُسِ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصَى بِهَا أَوْ دِينٍ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ تَعْمًا قَرِيبَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ لِلَّهِ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11)

(سورة النساء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَرْوَاكُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ لِثَمُنُ مَا تَرَكَتُمْ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ لِثَمُنُ مَا تَرَكَتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ لِثَمُنُ مَا تَرَكَتُمْ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَّةً أَوْ مَرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَجِدٍ مِّنْهُمَا لِلشُّدُسِ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ مِنَ بَعْدِ وَصِيَّتِي يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُصَارًّا وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (12)



قواعد الميراث ثابتة

إلى آخر آيات الميراث وقواعد الميراث التي صَنَّفَ فيها المصنفون، وأصبحت لها قواعد ثابتة، يكاد الخلاف فيها يكون معدوماً، فقواعد الميراث ثابتة، ثم الغنيمة (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْعَالِ) إلى أن قال: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَاللِّمْسَكِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبِيلِ) إلى آخره، ثم الصدقات، وقال تعالى فيها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا لِلصَّدَقَاتِ لِلْفُقَرَاءِ وَاللِّمْسَكِينَ وَاللَّعْمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَقَةَ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَاللَّعْرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْبَنِينَ السَّبِيلِ (سورة التوبة)

(سورة التوبة)

فعدد ثمانية أصناف يستحقون الزكاة الواجبة التي فرضها الله تعالى في الأموال وهي ربع العشر، أو غير ذلك في الأموال الأخرى كالأنعام وغيرها، فإذا نحن أمام منظومة متكاملة لتوزيع هذه المصادر الثلاثة، حتى لم يتركها -كما تفضلتم- الله تعالى لأحاديث نبوية قد تُخْتَلَف في صحتها يوماً ما، أو يقال بأنها اجتهاد أو غير ذلك فيتحدث الناس بها بحق أو بغير حق وإنما أنزلها قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة، السبب في ذلك -كما تفضلتم- المال محبب للنفس، وهو قوام الحياة، وبه تقوم دنيا الناس، فلا بد أن يكون توزيعه عادلاً من قبل الله تعالى، حتى لا يكون هناك أي اختلاف في ذلك، أحياناً الإنسان يدافع من عاطفته يتصرف بماله بالعاطفة، فجاءت الآيات لتجيزه عن ذلك، يعني أحياناً يتصل بي بعض الإخوة، "هذا ابني بائٍ جداً، وهذا عاق، فهل يجوز أن أحرم العاق من ميراثه؟"

المقدمة:

أو ممكن وأنا غضبان أتخذ قراراً.

الدكتور بلال نور الدين:

تمام، نقول: هذا ليس حقاً لك أصلاً، أمس اتصل بي أحدهم، قلت له: هذا ليس حقاً لك، حتى تمنعه أو ترفضه، أنت بذلك تزيد العاق عقوباً، هذا المال الله تعالى فرضه له بغض النظر عن عقوفه، عقوفه سوف يحاسبه الله عليه، ويُرِّ هذا بك سوف يحاسبه الله عليه، ولا مانع من أن تهبه في حياتك شيئاً، أو تكرمه لأنه بائٍ بك، لكن أن تتولى أنت توزيع ما ورَّعه الله تعالى فهذا ليس من الأدب مع الله، فربى الله تعالى النفوس بذلك عندما ورَّع الأموال بذاته العلية، إذاً لا مجال للاجتهاد في ذلك، وإنما نلتزم ما جاء به النص تماماً ففيه العدل، وفيه حسن التوزيع، وفيه ما يرضي جميع الأطراف؛ لأنه تقسيم من الله -جل جلاله- وهو أعلم بما يصلح عباده.

المقدمة:

بارك الله فيكم، يا دكتور، كلما قرأنا سورة الأنفال أو أي سورة من سور القرآن الكريم، في كل مرة يكون هنالك فتح جديد وفهم جديد، وخصوصاً ونحن نقرأ، ونقرأ تفاسير لعلماء أجلاء، هنالك أنوار وهدايات في مجمل الآيات، الخلاصة مما أقول: نحن نقرأ ونعاود التدقيق والتحصيل في سورة الأنفال، وجدت أن جميع العلماء أجمعوا على أن غزوة بدر بكل تفاصيلها كانت تخطيطاً ربانياً والترتيب كان ترتيباً ربانياً، وذلك من بداية الأسباب وانتهاء بالنصر، كان هنالك إعدادات في المعركة نود التعرّيج عليها، مثل الإعداد النفسي قبل المعركة، ثم المثبات من نزول للملائكة، ونزول للغيث، إلخ إلى أن نصل لنتيجة المعركة، وبيان أن الله قادر على كل شيء، ففي السورة بيان للتوازن كما ذكرت أنت في بداية الحلقة، ثقة وتوكل على الله ثم الأخذ بالأسباب (وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا سَتَمَلُؤْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) نرجو التوضيح ببارك الله فيكم.

التخطيط والترتيب الرباني لغزوة بدر: الدكتور بلال نور الدين:

السورة هي سورة معركة بدر كما كان يسميها بعض الصحابة الكرام، ونزلت عقب معركة بدر وفضّلت في هذه المعركة، وإن كان ورد أحياناً ذكر لهذه الغزوة في سور أخرى ك(آل عمران) مثلاً، لكن التفصيل جاء في سورة الأنفال، هذه المعركة العظيمة؛ معركة الفرقان، غزوة بدر الكبرى التي كانت أول غزوة بهذا الحجم يُحقّق فيها نصر عزيز وتثبيت لأركان الدين- كما تفضلتم- ذكرها الله تعالى في هذه السورة مفصلة، كلها ترتيب من الله تعالى بدءاً من اختيار الغزوة، واختيار المكان الذي ستكون فيه الغزوة، فبدأ الحديث عن هذه المعركة بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُرْهُونَ (5)



دائماً إرادة الله تعالى هي الخير
أي من لحظة الخروج أخرجك ربك فهي إرادة ربانية، وكان هذا الخروج بالحق، وإحقيق الحق رغم أن البعض كان كارهاً لهذا الخروج، لا يريد (وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُرْهُونَ) لكن الله -عزّ وجلّ- أراد لك أن تخرج، ثم كنت تريد وأراد الله شيئاً، كنتم تريدون وأراد الله شيئاً، أنت تريد وأنا أريد فإذا سلّمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلّم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد، ففي المحصلة دائماً إرادة الله تعالى هي الخير، وهي المتحققة، فقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَىٰ لِمَلَأْنَغَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ عَبْرَٰتِ السُّوَكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُجِزِّيَ لِحَقِّ يَكْفِيهِ وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكٰفِرِينَ (7)

والطائفتان هما العبر أو النفير، أنتم تريدون العبر، خرجتم من أجل استعادة أموالكم المعصوبة من قريش، والاستيلاء على هذه القافلة المحملة بالأموال والبضائع؛ قافلة أبي سفيان الراجعة من الشام، فأرذتم العبر وأراد الله تعالى لكم النفير، (وَتَوَدُّونَ أَنَّ عَبْرَٰتِ السُّوَكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) ذات الشوكة: الحرب التي فيها جهد، وفيها ضنك، وأنتم متعبون، وأنتم قلة مستضعفون، وأنتم أدله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ تَصَدَّقْتُمْ بِاللَّهِ بِدْرًا وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123)

(سورة آل عمران)



كن لما لا تريد أرجى منك لما تريد

ضعفاء مفتقرون إلى الله، لكن أراد الله إعزاز دينه، وإعزازكم وإعزاز الحق فلذلك **(وَتَوَدُّونَ أَنَّ عَبْرَاتِ لِسْوَكِهِ تَكُونُ لَكُمْ وَبُرِيدُ اللَّهِ أَنْ يُجِزَّ لِحَوْثِ يَكَلِمَتِهِ، فِدَائِمًا كُنْ لِمَا لَا تَرِيدُ أَرْجَى مِنْكَ لِمَا تَرِيدُ، أَوْ لِمَا لَا تَرْجُو أَرْجَى مِنْكَ لِمَا تَرْجُو، فَالإنسان أحياناً يرجو شيئاً ويتعلق به ويظن الخير كله في هذا الشيء لكن الله تعالى يريد له شيئاً أعظم، يؤخره لشيء أهم، يؤخره لشيء أكبر عند الله، سيدنا موسى -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- لما خرج خرج يريد:**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا قَصَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۖ آنَسَ مِنْ جَانِبِ لِطُورٍ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ۖ امْكُتُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَدْوٍ ۖ
مَنْ لِلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29)

(سورة القصص)

يريد أن يتدفأ بجذوة من نار في هذا الليل الموحش البارد، وهو في سفره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى (11)

(سورة طه)

فهو كان يرجو جذوة من نار فإذا بنور الله تعالى يضيء جنبات الوادي المقدس، وإذا به كلم الله تعالى، وإذا به أعظم العباد عند الله يومها رفعة، فإذا أنت تريد لكن الله يريد لك شيئاً آخر فسلم لله تعالى فيما يريد، فإذا غزوة بدر من اللحظة الأولى اختار الله تعالى أن تكون، ثم اختار لها مكانها، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ۖ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَخِطَفْتُمْ فِي ۖ لَمُبْعِدِ ۖ وَكُنَّ لِيْقَصِي ۖ لِلَّهِ
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنَّا بِيْنَيْتٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنَّا بِيْنَيْتٍ ۖ وَإِنَّ لِلَّهِ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42)

يصف بصور المولى -جلَّ جلاله- وكأننا نرى أرض المعركة، أتمم أيها المسلمون بالجانب الأقرب إلى المدينة، وهم بالعدوة القصوى بالجانب الأبعد **(وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ)** والغير أسفل منكم عند الساحل عند البحر الأحمر، ثم يقول تعالى: **(وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَخِطَفْتُمْ فِي ۖ لَمُبْعِدِ)** أي لو أنك وعدته أن تلقاه في بدر لما لفتته، لجنحت قبله أو بعده وما التفتين، ولكن الله تعالى أراد أن تلتقي به أراد أن تكون هذه المعركة، وفي هذا المكان تحديداً عند بدر، فالتفتين بأمر الله تعالى، هذا كله مما يهين النفوس لتقبل بأي شيء يأتي من الله تعالى؛ لأن الله هو الذي يدبر الأمر لما تعلم أن الله تعالى هو الذي يدبر الأمر، وهو الذي يسيركم في البر والبحر، فأنت ما جئت إلى هنا مصادفة، ولا جئت إلى هنا بإرادة منك وإنما جاء الله تعالى بك من أجل أن تلقى عدوك، من أجل أن تكون في هذا الموقف، في هذا المكان، في كل أمور حياتنا عندها تستسلم لإرادة الله تعالى وتترك له التدبير، إذاً من بداية المعركة مكان المعركة بدأ الحديث عن هذه الغزوة، ثم من الإعداد النفسي والتهيئة النفسية لهذه المعركة ببيان شروط النصر، وبيان أهمية التوكل على الله، وأهمية طاعة الله تعالى ورسوله، وأهمية إصلاح ذات البين وغير ذلك مما يهين النفوس لهذه المعركة.

المثبتات التي أرسلها الله تعالى للمسلمين في غزوة بدر:

ثم جاءت المثبتات التي تفضلت بها فكانت الملائكة تقابل معهم، وما أعظم هذا المثبت! أن تكون الملائكة مع المسلمين في أرض المعركة من الله تعالى، ثم جاء النعاس أمانة من الله تعالى، فأمن به من خوفنا من أعدائنا وهم كثرة، وقد أعدوا لنا ما أعدوا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذْ يُعَشِّبُكُمْ لِنُعَاسٍ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنْ سَمَاءٍ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11)

ثم جاء إنزال هذا المطر من الله تعالى لأهداف كثيرة، ليطهركم، ليربط على قلوبكم، ليذهب عنكم الرجس، ليثبت به الأقدام.

المقدمة:

قللهم في عيونهم.

الدكتور بلال نور الدين:

نعم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اللَّتَقَبْتُمْ فِي أَغْيَابِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَالُكُمْ فِي أَغْيَابِكُمْ لِيُقْضَىٰ لَكُمْ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَىٰ اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (44)

فتنظرون فتجدونهم قليلاً وهم ربما أكثر من ذلك، وأيضاً يقللهم في أعينهم، ولو وجدوكم كثرة لما أقدموا على تلك الحرب، فما كان من عزة بعدها، وما كان من النصر بعدها، وقوة لكم وشوكة لكم بين قبائل العرب يل بين الجزيرة كلها وقد انتصرت هذا النصر المبين على قوة قوية في الجزيرة، فكل هذه كانت من المثبتات، ثم بعد ذلك يتحدث الله تعالى عن نتائج المعركة التي كانت نصراً مؤزرًا، حتى كان فيها ما كان من الأسرى فيتحدث عن الأسرى، وعن فداء الأسرى، وعن التعامل مع الأسرى، وغير ذلك من التفاصيل التي يضيق المقام عن ذكرها.

المقدمة:

نعم، بارك الله فيكم يا دكتور، وأنت تتحدث وكأننا في جو المعركة، سبحان الله- هذه من لطائف وأنوار القرآن الكريم أنك تعيش الحدث وكأنك كنت في نفس الزمان، فتح الله عليكم يا دكتور، لكن هنا نعود إلى نقطة مهمة ركزت عليها الآيات الحديث كان حديث الجماعي؛ بالجماعة كان يخاطب الله تعالى المسلمين بالأسلوب الجماعي وهي من الأسباب المادية التي دعت إلى النصر تحدثت الآيات عنه، وكل آيات الجهات كانت تركز على هذه النقطة التي سأذكرها الآن؛ وهي من الأسباب المادية كما ذكرت وهي الأخوة، الآيات كلها تتحدث بصفة الجمع للمؤمنين بعد الحديث عن الإصلاح ترى الآية رقم (3)، وكذلك الآية رقم (46)، والآية (63)، والآية (62) كلها تتحدث عن الأخوة، فما كان لها من أثر طيب ونصر في هذه المعركة؟ نود التوضيح يا دكتور والتعليق.

أثر الجماعة والأخوة في المعركة:

الدكتور بلال نور الدين:

بارك الله بكم، كما تفضلتم الآيات التي تفضلتم بذكر أرقامها منها مثلاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَطِيعُوا لِلَّهِ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّا فَنَفْسِلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَإِنْ سَأَلْتُمْ لِيُصَيِّرَنَّ (46)

هذا مفهوم الاجتماع، مفهوم التعاون والتعاون على البر والتقوى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْعَمْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63)



ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا

فإذًا نحن من بداية السورة (وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) ، لما أخرج حب الدنيا من قلوبهم قال: (وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)، إذًا نحن أمام حالة من الأخوة الإيمانية تصغر أمامها كل الخلافات، وما أوجنا اليوم في عصرنا هذا وقد تكالبت علينا أمم الشرق والغرب وأعلنت حربها على الإسلام والمسلمين أن تتكاتف، وأن نتعاون، وأن نتناسى ونتغافل عن الخلافات التي لا تقدم ولا تؤخر؛ لأن ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا، فأعداؤنا يتعاونون وبينهم 5% من القواسم المشتركة، ولا ينبغي أن نتقاتل وبيننا أكثر من 95% من القواسم المشتركة، فنحن أمة واحدة لها كتاب واحد، ونبي واحد، وأهداف واحدة، ومشروعات واحدة وواضحة ومحددة، فلا ينبغي أن تتنازع فنفسل وتذهب ربحنا، ولا يكون لنا شأن بين الأمم، فالقرآن الكريم وفي سورة الأنفال على وجه الخصوص يربي النفوس على الأخوة الإيمانية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10)

(سورة الحجرات)

فلا بد من أن تصغر كل خلافاتنا أمام المفهوم العام للأخوة الإيمانية، فلو أننا تنازعنا وتراشقنا التهم وتبادلنا الخلافات في جزئيات بسيطة يسع الخلاف فيها فإننا سنسقط من عين الله تعالى ومن عين الناس؛ لأن الإنسان قوي بأخيه، ولأن الإنسان عزيز بأخيه، من هنا كان من أهم أسباب النصر في هذه المعركة، والذي يُصنف بالأسباب المادية؛ أي من الأسباب التي ينبغي أن تُتخذ: تحقيق هذه الأخوة التي كانت عاملاً مهماً في النصر، وهذا المفهوم غزوة بدر بعد الهجرة بثلاث سنوات تقريباً بدأه النبي -صلى الله عليه وسلم- من اللحظة الأولى في هجرته يوم كان واحداً من أهم الأركان الثلاثة التي قام بها عند وصوله المدينة من بناء المسجد وثيقة المدينة والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ولا أقول هي المؤاخاة الشكلية التي يفهمها البعض على أنها مجرد أنه أعطاه بعضاً من ماله وقال له الآخر: دلتني على السوق، بارك الله في أهلك ومالك، ولكن كانت هي المؤاخاة التي تدل على أن لي أخ، لي سند، لي من ألقاه، كان يلقاه في صلاة العشاء، ثم يلقاه في صلاة الفجر فيضمه ويعانقه، ويقول: "طال بي الشوق إليك يا أخي"، وهي ساعات فقط قد انقضت، فهي حالة من الأخوة بناها النبي -صلى الله عليه وسلم- من اللحظة الأولى لوصوله إلى المدينة، حتى إذا كانت غزوة بدر كان هذا المعنى قد ترسخ في نفوس الصحابة الكرام، فإذا لقوا عدوهم وقفوا في وجهه صفاً واحداً، فأعداؤنا لا يخترقوننا بأسلحتهم القوية، ولا بعددهم، ولا بإعلامهم، يقدر ما يخترقوننا من خلال عيوننا نحن، من خلال مشكلاتنا الداخلية من خلال هزيمتنا النفسية، فنحن عندما نكون صفاً واحداً نكون قوة، وعندما نتفرق ونختلف فإننا نصبح صفاً هشاً يستطيع العدو اختراقه من أي مكان شاء، فقولنا في وحدتنا وقوتنا في تماسكنا، وقوتنا في تعاوننا على البر والتقوى.

المقدمة:

بارك الله فيكم، وفتح الله عليكم في هذا الإجاز وفي هذا الشرح المبسط يا دكتور، ولكن يحمل المعاني العظيمة للتفسير، لكن يا دكتور، ونحن في ثنايا سرد أحداث غزوة بدر نحن نترك الآيات ثم نعود إليها، جاءت النداءات الإلهية للمؤمنين ست مرات بوصفهم بالإيمان، هنالك ست مرات قال فيها الله في سورة الأنفال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ لَدَيْنَ كَقُرُوءِ رَحَقًا فَلَا تُولُوهُمُ ۗ الْأَذْبَارُ (15)

النداءات الإلهية للمؤمنين ومقتضياتها: الدكتور بلال نور الدين:



نداء (تَأْيُهَا [الَّذِينَ ءَامَنُوا]) في القرآن الكريم
بارك الله بكم، النداء بـ (تَأْيُهَا [الَّذِينَ ءَامَنُوا]) ورد في أكثر من ثمانين آية في كتاب الله، ومنها ست آيات في هذه السورة -كما تفضلتم-، (تَأْيُهَا [الَّذِينَ ءَامَنُوا]) تشير إلى عقد إيماني بين المنادي -جل جلاله- والمنادي وهو المؤمن، فإذا قرأ المؤمن (تَأْيُهَا [الَّذِينَ ءَامَنُوا]) فإنه مباشرة يتحفز لاستقبال الأمر الإلهي: لأن هناك عقداً بينه وبين الله، فكان الله تعالى يقول لعباده: يا من آمنتم بي رباً إلهاً حكماً عدلاً قوياً مهيباً، آمنتم بأسمائي الحسنى، بصفاتي الفضلى، ما مقتضيات هذا الإيمان؟ أن أمرك الآن فتأتمر، وأن أنهاك فتنتهي؛ هذه مقتضيات الإيمان، فالعقد يقتضي وجود شروط وحقوق وواجبات، فما دمت أعلنت إيمانك بالله تعالى فهذا الإيمان له مقتضيات، فلذلك أنا أدعو الإخوة الكرام المستمعين إلى أنا إذا قرأنا القرآن الكريم أن نتعامل معه بشعور التلقي للتنفيذ الفوري، فإذا قرأت: (تَأْيُهَا [الَّذِينَ ءَامَنُوا]) فف هناك شيء يريد الله تعالى منك، أنت إذا سمعت والدك وأنت تحبه وتجله وتقدره وله فضل كبير عليك، إذا سمعته يقول لك: يا بني، فإنك تتحفز لسماع ما يأتي بعد يا بني، لعله يريد أن تحضر له كأس ماء، أو تحضر له دواء، أو يريد منك شيئاً لصالحك أو أي شيء آخر، فإنك تتحفز لأن يا بني، أي أنا أبوك وأنت ابني فينبغي أن تسمع مني ما سأقوله لك الآن، فمن مقتضيات الأبوة والبنوة أن تستجيب، ولله المثل الأعلى، عندما يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَأْيُهَا [الَّذِينَ ءَامَنُوا] جَتَيْبُوا كَثِيرًا مِّنَ اللَّطَنِ إِنَّ بَعْضَ اللَّطَنِ إِيمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ
أَخِيهِ مَيْتًا فَكْرِهُنَّوهُ وَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (12)

(سورة الحجرات)

إذا تحفز وانتبه هناك شيء يريد المولى منك، الخالق، الجليل، العظيم يريد منك شيئاً فما عساک إلا أن تقول: لبيك ربي لبيك، ثم تأتمر بما أمر، وتنتهي عما نهى عنه وزجر، فالنداء في القرآن لا سيما بقوله تعالى: (تَأْيُهَا [الَّذِينَ ءَامَنُوا]) نداء رخيماً، نداء محبب إلى القلوب ينبغي أن نستوعبه وأن نفهمه، وأن نسعى إلى تطبيق ما بعده، فإن المولى -جل جلاله- لا يريد بعباده إلا الخير.

المقدمة:

نعم بارك الله فيكم، دكتور وما دما نتحدث عن النداءات نرى أن النداء أيضاً (تَأْيُهَا [الَّذِينَ ءَامَنُوا]) تكرر أيضاً في هذه السورة، فما دلالات ذلك؟

مكانة النبي الكريم عند الله وعند المسلمين: الدكتور بلال نور الدين:

نعم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَأْيُهَا [الَّذِينَ ءَامَنُوا] حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ (64) تَأْيُهَا [الَّذِينَ ءَامَنُوا] حَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُن مِّنْكُمْ
عَشْرُونَ ضَبُّوا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِنْ يَكُن مِّنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْقَا مَنَ [الَّذِينَ كَفَرُوا] يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَابِئَهَا لِنَبِيِّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مَنْ لَأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُجِدَّ مِنْكُمْ وَيَعْفُو لَكُمْ ۖ وَاللَّهُ
عَفُورٌ رَّحِيمٌ (70)



انعكاس محبة النبي كمحبة واتباع

فكما تفضلتم جاء (تَابِئَهَا لِنَبِيِّ) في سورة الأنفال، أولاً الله تعالى لم ينادِ نبيه -صلى الله عليه وسلم- باسمه يا محمد، وإنما يناديه: (تَابِئَهَا لِنَبِيِّ) لمكانته عنده، ومكانة النبي عند الله تقتضي أن يكون له مكانة عندنا، وإذا كان له تلك المكانة في قلوبنا، فهذا ينبغي محبة أن يكون منعكساً إلى محبة واتباع؛ هذا الأمر الأول، فنفهم من (تَابِئَهَا لِنَبِيِّ) مكانة النبي --صلى الله عليه وسلم- عند الله، فما ناداه باسمه وإنما ناداه بالنبوة وهي ذاك المقام العظيم، ثم نفهم من هذا النداء في معرض سورة الأنفال نفهم منه أهمية القائد، النبي-صلى الله عليه وسلم- كان قائد المعركة، وقائد الأمة هو نبي الله ورسول الله، لكنه في معركة بدر هو قائد المعركة.

{ كُنَّا إِذَا أَحْمَرَّ النَّاسُ وَلَقِيَ الْقَوْمَ الْعَوْمَ اتَّعَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَىٰ مِنْ الْقَوْمِ مِنْهُ. }
(مسند الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب)

فكان يتقدم الصفوف، وكان بيوت المؤمنين مقاعد للقتال، كان يقود المعركة بنفسه، فيري الجندي القائد أمامه فيندفع إلى تحقيق أهداف المعركة لأن قائده يتقدمه، ف (تَابِئَهَا لِنَبِيِّ) في سورة الأنفال مع هذا التكرار تشير إلى أهمية أن تتطلع العيون إلى القائد، وأن يكون للمعركة قائد، وأن يكون بكل أمر في حياتنا قائد، فحتى في السفر.

{ إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ }
(أخرجه أبو داود، والبيهقي عن أبي هريرة)

لا بد من الأمير، فهذه الدلالة في تكرار (تَابِئَهَا لِنَبِيِّ) للإشارة إلى مفهوم القيادة، وما ينبغي أن يكون عليه القائد من صفات تؤهله لأن تتعلق به عيون الجنود فيقودهم إلى النصر المبين.

المقدمة:

بارك الله فيكم يا دكتور، وكذلك نلاحظ أن هنالك آيتين وردت في سورة الأنفال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ سَرَّ لِدَوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ لَصُمٌّ لِبُكُمْ ۖ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ شَرَّ اللَّذَوَاتِ عِنْدَ اللَّهِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55)

ما دلالة هذا التكرار يا دكتور؟

المقصود بالدواب:
الدكتور بلال نور الدين:



ركب الإنسان من عقل وشهوة

بارك الله بكم؟ نعم- كما تفضلتم- آيتان في سورة الأنفال (إِنَّ شَرَّ اللَّذَوَاتِ)، الدواب جمع دابة، وكل ما دبَّ على الأرض فهو دابة بالمفهوم العام، فرينا -جلَّ جلاله- خلق الإنسان وجعل فيه عقلاً وجعل فيه شهوة، وخلق الملائكة وجعل فيها عقلاً، وخلق دواب الأرض والمخلوقات الأخرى وجعل فيها شهوة فقط، فقالوا: رُكِبَ الملك من عقل بلا شهوة، وركب الإنسان من عقل وشهوة، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل، فأما الإنسان فمن عقل وشهوة، فإذا سما عقله على شهوته كان فوق الملائكة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7)

أي خير ما برأ الله، وإن -والعباد بالله- فاقبت شهوته عقله -تغلبت شهوته على عقله- فانقاد بهواه ولم ينقد بشرع ربه، فهنا- والعباد بالله- يصبح دون أدنى مخلوقات الله تعالى (إِنَّ شَرَّ اللَّذَوَاتِ عِنْدَ اللَّهِ لِلَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَعَالٍ لَأَنفُمٍ أُولَئِكَ هُمْ أَصْلُ سَبِيلًا (44)

(سورة الفرقان)

أي الإنسان عندما يُعرض عن منهج الله تعالى ليس كالأنعام فحسب، وإنما هو أصل سبيلاً من الأنعام؛ لأن الأنعام ليست مكلفة فنفذت المهمة التي خلقت من أجلها وانقضى الأمر، أما هو فمكلف ثم لم يأت بما كلف به فهو شر من الأنعام، (إِنَّ شَرَّ اللَّذَوَاتِ عِنْدَ اللَّهِ لِلَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ) عطلوا منافذ الإدخال، الإنسان يدخل المعلومات ويخرجها، الصم البكم إدخال وإخراج ويعالجها من خلال العقل، فهو لم يعالج المعلومة بشكل صحيح، ولم يدخلها بشكل صحيح، فهو شر الدواب عند الله، وفي الآية الثانية: (إِنَّ شَرَّ اللَّذَوَاتِ عِنْدَ اللَّهِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ما معنى كفر؟ غطى، ستر، فالكفر هو الغطاء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (101)

(سورة الكهف)

لما أصموا آذانهم عن سماع الحق، وعطلوا قلوبهم عن عقل الحق، ولم يستمعوا ولم يتكلموا بالحق، فهم كفروا، فلما كفروا أصبحوا من شر الدواب عند الله، في سياق هذه السورة ونحن نتحدث عن معركة بدر ونتحدث عن القتال بين الحق والباطل كان من المناسب أن يذكر المولى -جل جلاله- صفات هؤلاء المعرضين المنتكبين عن طريق الحق ليبين شرهم وسوءهم، وما ينعكس من شرورهم وسوئهم على الناس، وأن قتالهم وكف أذانهم عن الناس من أوجب الواجبات.

المقدمة:

بارك الله فيكم يا دكتور، في آخر محور لنا في هذه الحلقة، نود تفسيراً للآية السادسة والثلاثين من سورة الأنفال وربطها بحاضر الأمة، الوضع العام في هذا القرن والمنفقون كثر ليصدوا عن سبيل الله، والله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُضِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً تُمْ يَغْلَبُونَ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (36)

تفضل يا دكتور.

محاولات المعرضين عن الله تدمير المجتمع المسلم وواجب المؤمنين لصددهم: الدكتور بلال نور الدين:



إنفاق أموالنا لإعلاء كلمة الله

بارك الله بكم، كما تفضلتم هذه الآية تمس واقعنا اليوم مساً شديداً، فالיום المعرضون عن الله تعالى تكالبوا على أمة الإسلام، اليوم ينفقون أموالهم لنشر الشذوذ في مجتمعاتنا، ينفقون أموالهم لهدم وتقويض أركان الأسرة التي نعتر بها، والتي نفاخر بها الأمم بأننا أمة الأسرة التي تبني الأسرة فتبني الأجيال، ينفقون أموالهم من أجل تحريف الحقائق، ومن أجل طمس الهوية، ومن أجل إشاعة الفاحشة في المجتمعات، ومن أجل إشاعة الإعلام الفاسد المفسد فهم ينفقون أموالهم، فأولاً ماذا فعلنا نحن؟ ماذا أنفقنا من أموالنا من أجل الحق؟ وهذه دعوة لكل الموسرين ولكل الذين وهبهم الله تعالى من المال أن يجعلوا دائماً جزءاً من أموالهم لنصرة الحق، لنصرة المستضعفين في الأرض لإعلاء كلمة الله تعالى، فكأن الله تعالى عندما يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ كأنه يقول لنا: فماذا فعلتم أنتم أيها المؤمنون؟ هم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فهل أنفقتم أموالكم لإعلاء كلمة الله تعالى؟ هذا مفهوم مهم لهذا العقد، أن ننفق أموالنا لإعلاء كلمة الله في المساجد وأهم من ذلك في دور العلم، في المعاهد الشرعية، في معاهد القرآن الكريم، في مراكز القرآن، وحتى في مجالات العلم المختلفة لأنها جميعها قوة للمسلمين؛ فهذا المعنى الأول، المعنى الثاني: لا تعلقوا فإن هؤلاء مهما أنفقوا من أموالهم ليصدوا الناس عن دين الله وليبيعوهم عن دين الله تعالى فإنهم سينفقونها ثم تكونوا ندماً عليهم، حسرة عليهم، سيتحسرون لماذا؟ لأنهم أنفقوا ولم يحققوا آمالهم؛ لأن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ لِيَذَىٰ سَتَرْتُهُ مِن مِّصْرٍ لِأَمْرَأَتِي أَكْرَمِي مَنُوبُهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَّا أَوْ نُنَجِّدَهُ ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ ﴿ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ (21)

(فَسَيُفْقَرُوهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ) وبعد غلبتهم سيكون مصيرهم إلى جهنم -والعباد بالله تعالى-، فأخر ما أريد أن أقوله في هذا المجال:

المقدمة:

تفضل يا دكتور.

الدكتور بلال نور الدين:

لا ينبغي أن تقلق على دين الله لأن الله تعالى ناصره ولو بالرجل الفاجر الفاسق، ولكن ينبغي أن تقلق على أنفسنا، هل سمح الله لنا أن نكون جندياً من جنود نصرته الحق وأهله أم لم يسمح لنا؟ فالقلق ليس على الدين وإنما القلق علينا نحن أن يقلق كل منا على نفسه، هل أنا في نصرته دين الله؟ هل أنفق مالي لإعلاء كلمة الله؟ هل أنفق من خبرتي وجهدي ووقتي لإعلاء كلمة الله؟ هل أنفق من جهدي لتربية أولادي وتنشئتهم على دين الله أم أنني -والعباد بالله- ليس هناك حيادية في هذه المسألة؟ إذا كنت حيادياً فأخشى أن أقول لك: أنت مع الطرف الآخر لأن حياديتك هنا قاتلة، فأنت عندما تترك واجباتك فكأنك تساعدهم على النهوض بواجباتهم التي يظنونها واجبات، أو يسمونها واجبات في سبيل الصد عن سبيل الله تعالى، فإما أن تكون أو لا تكون، فأنت لا تقلق على دين الله، ولكن اقلق على نفسك هل أنت قد شُح لك من الله تعالى أن تكون جندياً لنصرة الدين والحق أم أنك في الخندق الآخر -والعباد بالله-؟!

المقدمة:

ونجد الجواب أيضاً يا دكتور في الآية التي تليها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِيَمِيزَ اللَّهُ لِحِيَّتَ مِنْ لَطِيبٍ وَيَجْعَلَ لِحِيَّتَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ
(37)

فنتسأل الله أن نكون من الطيبين، وأن يميزنا عن الخبيثين، وأن نكون جندياً لله، وأن نكون مستخلفين، وأن نكون صالحين في هذه الأرض، بارك الله فيكم يا دكتور، وشكر الله لكم هذا الجهد، ونفع الله بكم.

الدكتور بلال نور الدين:

حياكم الله وبارك الله بكم، وشكراً لهذه الاستضافة الكريمة الطيبة.